المرأة في السعودية

حقوق مكتسبة.. وثقافة منتقصة

محمد الطريقي

سلسلة العالم الفكرية

المرأة في السعودية

حقوق مكتسبة.. وثقافة منتقصة

محمد الطريقي

«أنا مع المرأة السعودية في كل مطالبها، وأعلنها أني مؤيد لكل توجهاتها، وداعم لكل أنشطتها، ومساند لكل حراكها، باستثناء أن تتخلى عن سعوديتها، ليس بمعنى الجنسية بل بمعنى القيم».

المؤلف

الإهداء

إلى .. من يتسلقون قيمنا للوصول إلى الهاوية التي يريدونها لنا..

إلى .. المرأة السعودية أما وأختا وابنة.. ثم زوجة

إلى .. من هي عند غيري نصف المجتمع.. وعندي المجتمع كله ونصف

إلى .. حقوق المرأة.. وكل الحقوق.. التي كانت حلما وصارت اليوم وهما

إليهم هذه السطور . . مع خالص المساواة

أ.د. محمد الطريقي

الفهرس

المجتمع ونصف..!! ٩
أزمة الاسم الثاني! ١٥
في بلاط صاحبة السعادة.. ..... ٢٣
الاستعمار الأسري..! ٣١
سطور.. لا أتحمل مسؤوليتها!! ٤٥
ملخص غير مفيد..!! ٥١
تنبيه.. لزوجات المبدعين!! ٥٧
بعد رفع الحصانة..!! ٦٥

مساواة.. في انتقاص الحقوق!! ٧٣
عندما لا تجد المرأة ذاتها.. ..... ٧٩
ناشطات في الحقوق.. خاملات في الأسرة!! ٨٩
المطلوب: ثقافة كاملة ٩٣
هل حقا: نحن الأسوأ؟! ٩٩
سعوديات مع سبق الإصرار!! ١٠٧
الاعتذار عن الأخطاء المطبعية!! ١١٣

المجتمع ونصف..!!

نعم إِن وعد الحر دين، وكنت قد سبق لي أن وعدت أو أشرت بما يشبه الوعد في إِصدار سابق، إِلى أن كتابتي القادمة ستكون في موضوع المرأة، والذين أدمنوا القراءة لي، يعرفون تماما أنني عندما أكتب يكون دائما الواقع منطلقي، وتبقى تجربتي الشخصية تحوم رغما عني حول كتابتي، فتصنع أفكاري التي عادة أكون مسؤولا عن جزء منها، وأنفي المسؤولية تماماً عن الجزء الآخر، خاصة وأن هذا الجزء الذي لا أتحمل مسؤوليته هو ليس صنيعة مسيرتي، بل صنيعة من يقفون في وجه مسيرتي!! والمرأة بريئة تماما من كل هذه التحديات وأكثر براءة من أفكاري بكل ما فيها من قسوة ولين، لذا فإِن الكتابة عنها ستكون من منطلق جديد يفخر بها وبأنوثتها، وبدورها المكمل للعطاء الذكوري، منطلق يؤمن بكامل حقوقها غير منقوصة، ويؤمن بأهميتها كشريك

في التنمية الأسرية والاجتماعية والثقافية، وحتى السياسية، ويفخر بإنجازاتها وواقعها، كما يفخر بكل ما قدمته تجربة المرأة من إنجازات متصاعدة.. ولكنه في ذات الوقت يعترف أحيانا بأن لا تحد يقف أمام النجاح إلا المرأة!!

من المهم الاعتراف والإدانة في نفس الوقت لواقع الكتابة عن المرأة في هذا الوقت العصيب من زمن الفوضى المنظمة، حيث أصبحت الكتابة عن المرأة صنعة بالية، بعد ما صارت عند البعض مهنة من لا مهنة له، وعند البعض الآخر فكر من لا فكر له، والجميع على درجة ذكائهم وولائهم للمرأة وقضاياها، يكتب عنها، عن حقوقها، عن أهميتها، عن دورها المأمول، عن المستقبل، ولكن لم يع بيننا أحد، أن المرأة هي مفتاح تقدم الرجل وتأخره في نفس الوقت، وهي كلمة السر لجيل كامل، وفقدانها يعني ضياع الجيل، وهي إن

كانت عند الكثيرين نصف المجتمع، فهي عندي المجتمع كله ونصف!!

وذلك أنها خاصة في واقعنا العربي والخليجي والسعودي تحديدا، ذات دور أسمى من أن تقف خلف منابر الحقوق الراعنة، وأسمى من أن تبتذل باسم حقوقها في كل مهنة وموقع، وأسمى من أن تكون محفلا لمنظمات المرأة التي وجدت باسم الحقوق، لكنها دائما ترفع شعار العقوق.

لم تأت هذه الكتابة لغرض التسلية، أو التنفيس الذي لا قيمة له، ولم تتقصد الإِساءة أو التشويه أو التشهير، إِنها كتابة تجمع بين محاولة فهم المرأة، ومحاولة فهم دورها، وبغير هذا الفهم لا يمكن لنا أن نتحدث عن الحقوق.

إِن دافعي للكتابة عن المرأة بهذا الأسلوب كان فرضا علي، لأني استدعي القراء ولا استفزهم، فلو كانت الكتابة جامدة حد الوعظ والأمر والنهي،

لمرت مرور البخلاء لا الكرام، ولو كانت كتابة منحلة في مهاجمة المرأة لأصبحت من فنون الطرافة، فكما لا بد أن نكتب عن الواقع بسخرية في بعض الأحيان، فإننا في أحيان أخرى نضطر للكتابة عن السخرية بلغة الواقع، وهذا هو الجنس الذي تنتمي إليه هذه الكتابة.

أزمة الاسم الثاني!

أخذت المملكة العربية السعودية على عاتقها التزاما دوليا في سياسية تستهدف القضاء على التمييز ضد المرأة، فلا تفرقة ولا استبعاد ولا تقييد، والميدان أمامها مفتوح في كل مجالاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية، وهذا التشكيل السياسي الذي فرضته اتفاقية الأمم المتحدة بشأن القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة وانضمت إليه المملكة قبل أكثر من عقد من الزمن، كان صناع القرار يعتقدون أنه المخرج الوحيد لإغلاق ملف منظمات حقوق الإنسان، التي إن أرادت أن تتحدث عن المرأة وجدت وجهتها دائما في المملكة العربية السعودية، إلا أن هذا المخرج أصبح مدخلا جديداً للتوجه نحو السعودية بطعنات متتالية، وأصبحت المملكة تخرج من ميدان إلى ميدان أصعب، وتعلن وقف إطلاق النار مع منظمات المجتمع المدني في ناحية

معينة، لتفتح النار عليها من نواح أخرى، وهذا كله مرده سياسة الاستحياء التي طالت الكثير من قضايانا، وسياسة الاسترضاء التي أدخلت الكثير من قضايانا غرفة الإنعاش، والحقيقة التي لابد أن نعترف بها، أننا نئد قيمة المرأة السعودية ثقافياً واجتماعياً وقيمياً قبل كل هذا، بانخراطنا في سياسات الاسترضاء للواقع الغربي، ومنظماته الموبوءة في الحديث عن المرأة السعودية.

لا يمكن أن يكتب النجاح لأي سياسة من غير عقيدة، ولا يمكن أن نتحدث أصلاً في موضوع حقوق دون أرضية عقدية نبني عليها ما نقول، والغرب الذي يبني سياسات المرأة لديه اعتماداً على مبدأ الانطلاق من عقيدة الفراغ، والحرية بمفهومها المطلق، هو الذي خلق مشكلة المرأة أصلاً، وهو الذي بنى عليها أزمات عالمية وصلت حد السياسة، وللغرب عذره في ذلك، فالكثير

منه يشعر بانتقاص حق المرأة، والمرأة ذاتها تشعر بهذا الانتقاص في مجتمع لا نسب فيه، وتعاني فيه النساء من اختيار الاسم الثاني لمواليدها، فيفقد المجتمع الغربي هويته، وأصعب انتقاص للحقوق أن يعيش الفرد بلا هوية، فما بالك إذا كان المجتمع كله بلا هوية!!

لقد هاجمت منظمات حقوق الإنسان، وبالذات تلك المعنية بحقوق المرأة، المملكة مراراً على أنها تنتقص حق المرأة وحريتها، فلا تعطيها حريتها في التعبير عن حقوقها في الاحتقار، وعدم النسب، وتجارة الرقيق، والعمل المشبوه، وفرضت عليها قيوداً كثيرة مثل: قيد الأمومة السامية، والمحافظة على العرض والشرف، والعيش في كنف أسرة ترعاها وأبناء يبرّون بها.

و كل هذا بنظري أنه غير مؤسف.. المؤسف حقاً ان تلتفت المرأة إلى مثل هذه القضايا، وتجعلها

حاجزها، مما يؤثر بالفطرة على طريقة تفكيرها، وينعكس على زوجها وأسرتها، فتتصاعد قضايا الشقاق والخلاف والطلاق، وتكثر الأزمات الأسرية غالباً، فيما يضيع الحق وتغيب العدالة إذا ما أردت أن تطلق حكماً على خلافاً بين الزوجة وزوجها، حيث يظهر لك تارة أن كلاهما على صواب، ويظهر إليك تارة أخرى أن كلاهما على خلاف، وليس لهذا عندي إلا معنى واحد وهو: أن حقوق المرأة لا تنفصل عن حقوق الرجل، وأن حق الأسرة المغيب هو الأساس.

وفي حين تغمض هذه المنظمات عينها عن حق الأسرة، وطاعة الزوجة للزوج، تفتح العين فقط على حقوق المرأة خارج إطار البيت، وبعيدا عن منظومة الأسرة المستقرة، والكيان المجتمعي المؤسس لحضارة الأمم، فتتناولها في حق العمل، وحق القيادة، و حق السفر، وغيرها من الحقوق،

لنكتشف دون عناء تفكير بالمحصلة، أن حقوق المرأة في مفهومها الفوضوي اليوم، ما هي إلا دعوة للمرأة للخروج من البيت، والانسحاب من الدور الأسري، وهذا لا يكون إلا بتمردها على رب البيت وقدوة الأسرة، وما أكثر من يفكر في تلبية هذه الدعوة!

في بلاط صاحبة السعادة..

وفي الوقت الذي وجدت هذه المنظمات نفسها عاجزة عن تحقيق أهدافها في الوقت المنشود، بدأت تبحث عن وسائل أخرى للوصول إلى نصف عقل المرأة المعطل، خاصة أن هذه المنظمات أدركت أن تأثيرها يقتصر على الحكومات لا على المجتمعات، وأن الحكومات التي رضخت لها فقدت ولاء مجتمعها، في حين أن الحكومات التي لم ترضخ مازالت متماسكة البنيان، حيث أن تجارب العالم من حولنا تثبت أن هذا المخلوق الضعيف في بنيته الجسدية فقط، لعب دورا أساسيا في فوضى الشعوب، وأدركت هذه المنظمات أن كل حكومات العالم لم تستطع أن تغير فكر امرأة واحدة، وهل سقطت الكثير من الدول والحكومات إلا بفعل امرأة.

هنا بدأ تفكير اللوبيات المنظمة في كيف يكون الغزو للوصول إلى المجتمع لا الحكومة التي غدت

ورقة رهان خاسرة، وكيف يكون الإرضاخ الثقافي موجها للمجتمعات كما هو الإرضاخ السياسي مخصص للحكومات، ووجدت ضالتها في وسائل الإعلام، وانتهجت خطة ذكية تقوم على فكرة مفادها: أن المرأة هي المظلومة دائماً، وأن الزوج هو الظالم وصوّرت أمام المرأة العربية بشكل عام المشاهد التالية:

مشهد يوحي بأن كل رجل يبيت خارج منزله أو ينشغل بعمله المؤمن به، هو خائن ينتقص حق المرأة في الاهتمام بها والتلذذ بنكدها، وفرضت النساء لتفادي هذا المشهد سطوة السؤال الدائم عن الرجل، وقيد حريته وتكبيله، فنتج عنه قصور رجالنا عن الإبداع، وإيمانه بتقليدية الوظيفة، حيث الخروج إلى العمل في وقت محدد، والعودة منه في وقت أكثر تحديداً، مع تعطيل كامل لفكره ما دام في بلاط صاحبة السعادة!!

و مشهد آخر يوحي بصراع الرجل والمرأة في منظومة الأسرة، والغالب فيه هو من يستقطب الأبناء إلى صفه، وهذا الاستقطاب يكون بانتقاصه للآخر، وتأثرا بهذا المشهد وفي ضربة استباقية غدت المرأة تعيب في زوجها أمام أبنائها، وتربيهم على أن هذا الأب قائد فاشل، وقبطان سيغرق السفينة بهم، في حين يحاول الأب أن يزرع فكر القدوة في أبنائه، فيكره لهم أن يقعوا في خطأ سبق له وأن وقع به، ويشجعهم لاغتنام كل فرصة سبق وأن ضاعت عليه، فيحير ويتشتت الأبناء بين القدوة وبين القيادة الفاشلة، فلا يخرج هذا الابن حاقداً على أي منهم، أو كارهاً لأي منهم، بل يخرج حاقداً على مجتمعه كله، وكارهاً لنفسه قبل أن يكون كارها لأحد!!

مشهد آخر يصور المرأة العاملة أو صانعة القرار أو ذات المنصب المهم، على أنها نصيرة الحق دائماً،

وأن الرجال حولها هم مصدر الشر، وهم أساس الفساد، وأنها الوحيدة التي تقف في وجه فساد الرجال، وعادة ما ينتهي هذا المشهد بانتصارها وإيماننا بها، فينتج عنه تغيير مشوه لثقافة الخير والشر في عقول الأبناء، ويصبحون يتمنون أن تكون أمهم في موقع المسؤولية، لأنها نصيرة حق في حين أن أباهم رمز فساد!!

مشهد آخر يصور المرأة على أنها الصابرة دائماً على الظروف القاسية، وأنها تلعب دوراً كبيراً في إصلاح أخطاء رب الأسرة، لذلك فهي تستحق دائماً نظرة الإنصاف للتخلص من هذا الظلم.

مشهد آخر يلقن الأسرة والمجتمع درساً قاسياً في الوفاء، فالزوجة التي يموت زوجها تجلس لتربية أبنائها، وترفض الزواج وفاءً لذكرى الراحل الذي غالباً ما يكون سبب رحيله أزمة نكدية قضت عليه بفعل فاعل، في حين يظهر الرجل بعد وفاة

زوجته متلهفاً على الزواج من أخرى، لتذيق هذه الأخرى الأبناء صنوف الظلم والعذاب، فيصبح هو من أتى بالظلم، في حين يصور المشهد الزوجة الثانية ظالمة، بل يعطيها الحق في هذا الظلم، فهي لا تشعر بالأمومة تجاه هؤلاء الأبناء.. ويتوه المشهد ليصور زوجة الأب لنا على أنها شيطان لا امرأة، وفي هذا شيء من الصواب!

بعد كل هذه المشاهد ما هي النتيجة المتوقعة لدور المرأة؟ وماذا يمكن أن تضيف من خير على الأسرة؟ خاصة و أن عاطفة المرأة الجياشة تدفعها إلى حالة من التوحد مع هذه المشاهد، فتتوه هي إذ تشعر نفسها مرة صابرة، ومرة مظلومة، ودائماً خاسرة!! فينقلب مزاجها العام إلى مزاج بؤس تذيبه في فنجان الصباح وتسقيه لهذا الزوج الذي ينعكس بؤسه على عمله وعلى علاقته بمن حوله.

الاستعمار الأسري..!

من تجربتي الشخصية المرأة مثل الذهب الخالص الذي يبان معدنه الأصيل كل ما ازدادت عليه النار، ويظهر هذا المعدن الأصيل عند المرأة وأخص (الزوجة) في الوفاء والانتماء لمنظومة أسرتها في خمسة محاور: هي علاقتها مع زوجها على المستوى العملي، وعلاقتها معه على المستوى الاجتماعي، وعلاقتها معه على المستوى الفكري، ودورها الوسيط بينه وبين أبنائه، وأخيرا دورها الفاعل في منظومة الأسرة بشكل عام.

فعلى المستوى العملي، فإني أرفض تماماً مقولة أن وراء كل عظيم امرأة، لأن هذه المقولة لم توضح دورها في هذه العظمة، فهل دورها أن تصنع هذه العظمة أم تمحوها؟!

بمعنى آخر هل المرأة التي تقف وراء كل عظيم هى من تصنع عظمته أم تهدمها؟ والسبب الثاني في رفضي هذه المقولة، أنها لم تحدد مفهوم عظمة

الرجل، فكما أن هناك عظيم في الإبداع، هناك عظيم في الفشل، وعظيم في النفاق، وعظيم في كل شيء بمفهوم العظمة الإنسانية، ولكني أؤمن أن وراء كل نجاح امرأة: يمكن أن تصنعه ويمكن أن تهدمه، فكل ناجح في عمله يحقق هذا النجاح إذا يسّرت له ثلاثة أمور: الأول: راحة النفس، والثاني: الولاء للعمل، والثالث: الإيمان بقيمته. والمرأة إن لعبت دوراً أساسياً مع زوجها في راحة نفسه، وكانت موالية لعمله كما هي موالية لبيته، وآمنت بقيمة صنيعته كانت أساس هذا النجاح، ولا يحق لأي رجل أن يوسم اسمه على هذا النجاح، إلا مقروناً باسمها، و أما إذا كانت صنعتها الوحيدة إشغاله بكل ما يمنعه عن تأدية عمله، وخاصة صغائر الأمور، وكانت لا تملك ولاءً لعمله ولا تؤمن بقيمة ما يعمل، ولا ما يصنع، فإنها تستدعي الخراب إلى بيتها،

وإلى حياتها، لأنها إذا لم توال لعمله، لم توال له، وإذا لم تمتلك إيماناً يشكل حافزاً له للتقدم، فهي تصنع بالضرورة فشلا يلحق قوت يومها ويوم أبنائها، وأساس هذه المشكلة في موضوع علاقة الزوجة مع زوجها على المستوى العملي أن المرأة بطبعها تعشق الإنجاز السريع، ولكن ليس في كل شيء، في العمل تحديدا، فهي تريد لزوجها ألا يتعدى تفكيره العملي تحصيل الدخل المادي الذي يوفر لها بيتاً، ويجعلها قادرة على التحكم بصرافات البنوك في أي وقت تشاء، وبغير ذلك ترى في زوجها فاشلاً في عمله، بل وتستحثه على أن يتركه، أو يغير نشاطه، وكأن الحظوة عندها للتاجر فقط!

وعلى ما قرأت فإني أدعو كل امرأة للتخلي عن هذه الفكرة، لأن الشيطان بطبعه تاجر، يبيع الغش للتجار، والحسد للعلماء، والكيد للنساء، لذا

عليها أن تتخلى عن هذه الفكرة، كي لا تكون من عملائه المميزين!!

أما المحور الثاني الذي يتعلق بعلاقة الزوجة بزوجها على المستوى الاجتماعي فإنه محور شائك، ذلك أن مفهوم العلاقة الاجتماعية يشبه إلى حد ما مفهوم الدبلوماسية السياسية، فلابد وأن يكون للأسرة سفراء لدى المجتمع، وعادة ما يتقاسم الزوج والزوجة هذا الدور.. الزوج في المناسبات العامة والعملية، و الزوجة في المناسبات التي تتطلب حضورها الأنثوي دون الزوج، والأزمة الحقيقية في هذا المحور تكمن إما في قصور الدور أو في اختلاط الأدوار، فالمرأة التي تعتبر نشاطها الاجتماعي كل حياتها، تقتل حياة أسرتها، في حين أن المرأة التي لا تمارس هذا الدور أصلاً تعزل أسرتها وزوجها عمن حوله، وتوجه بذلك طعنة في مقتل له في محبة الناس، والتعايش معهم، أما

الآفة الكبرى فهي في الزوجة التي تخلط الأدوار حيث تشرك الزوج في هموم دورها الاجتماعي وتطالبه دائماً بأن يعيش كل أزمة صغيرة وكبيرة تعيشها هي، فتحمله مسؤولية صدود جارتها عنها، وفشلها في التقرب من عائلته، وقصورها في نيل رضا من يخصونه، دون ذنب يعلمه هو سوى أنه متلق جيد لثقافة النكد!!

أما المحور الثالث المرتبط بعلاقة الزوجة بزوجها على المستوى الفكري فهو دور صعب عند بعض النساء، وغاية في السهولة عند أخريات، و سهولته للمرأة إِذا كان زوجها رجلاً (وطنياً) ووطني هنا تعني حكومي الفكر و التوجه، بمعنى أن فكره يقوم على الرضا في كل شيء حوله: تسلط مديره، اغتيال هويته، انتقاص حقه، تهمشيه، وعن كل ما يحدث حوله دون شكوى منه، ودون أن تعرف الآه مكاناً لها على لسانه، هذا الرجل

تكون زوجته عادة تقليدية بقدر تقليديته، بل وحكومية بقدر حكوميته، ترضى عما يرضى، وتفرح لفرحه، وتؤمن بكل ما يقوله، لأنه يؤمن بكل ما يسمعه، وهذا دور يشهد للقطاع الحكومي فيه في استقرار الأسرة!! فتدريب الزوج على الخضوع، ينقل العدوى لزوجته، ويصبح دور المرأة قاصراً على الفرح والبكاء.

أما زوجة المفكر فهي التي تجد الصعوبة المطلقة في التعامل مع هذا الرجل الرافض، لأن المفكر بطبعه يثور على كل ما حوله من ظلم، ويحمل معولا دائما يحاول به هدم الفساد، ولكنه يعيش مقاومة شديدة تجعله يكسب جولة ويخسر جولات في مجتمع حكومي التفكير، استرضائي الوجهة، وهنا يأتي دور الزوجة التي يجب عليها أن تقف معه موقف المساند الداعم إذا ما خسر جولة، وتحفزه لجولات قادمة يستمد منها القوة،

وأن تكون مصدره للرفض، ويجب على المرأة في مثل هذه المواقف أن تعي قيمة من ترتبط به، وقيمة ما يهدف إِليه، وأن تزرع شخص هذا الزوج أنموذجا وقدوة لأبنائها، و أن تجعل مواقف زوجها الفكرية مناهج تعليم لهم، وأن تسرد لهم كل ليلة قصة من قصص نجاحه أو تحدياته، بمعنى آخر أن تستعيض عن قصة ليلى والذئب، بقصة زوجها والذئاب الذين يحاولون أن ينقصون حقه وينتقصون قدره.

هذا هو سبيل الزوجة الواعية.. أما الزوجة التي ترى في أن قدرها الذي جرها للارتباط بمفكر، جر عليها الويلات، وسيجر مزيد منها، تسارع عادة إِلى رفض فكره، والتشكيك في أهدافه العامة والخاصة، وتعتبر هذا الفكر مضيعة للوقت، بل مضيعة للمستقبل، وتعتقد أن دورها يكمن في الإِقناع بالعدول عن فكره، وتصويب معتقداته،

وتذكيره الدائم بما سيجره هذا الفكر الرافض عليه، لدرجة أنها في بعض الأحيان تستخدم أنماط العذاب النفسي على هذا الزوج للتخلي عن أفكاره، وتلعب دور السلطة القامعة بحجة الحفاظ عليه وعلى أبنائه، وعلى كيانه الأسري، وهي بذلك عامل هدم، وإلا فلما ارتبطت به أصلاً وهي تعلم أن في نفسه بركان سيثور أي لحظة على من يعاند فكره، أو ينتقص حقه.. وقد سمعت دون أن أقرأ أن المرأة غالبا تريد هذا الرجل، على أن لا يلحقها شيء من رماد بركانه!!

أما المحور الرابع والخاص بدورها الوسيط بينه وبين أبنائه، فهو يمثل دور المرأة المهم في بناء المستقبل، فهؤلاء الأبناء عادة بحكم عمل رب الأسرة أكثر التصاقاً بالأم، ويعتبرونها مصدر الإلهام، ومتجه تفكيرهم الأول، يقبلون ما تقبل، ويرفضون ما ترفض، ويرسمون بمخيلتهم الطفولية

منذ نشأتهم الأولى الصورة الذهنية عن كل ما حولهم، وهنا تكمن خطورة دور المرأة في هذا الاتجاه، فالمرأة هي التي تحدد ملامح تكوّن هؤلاء الأطفال في نظرتهم إلى رب الأسرة، فإن كانت المرأة على قدر من الوعي، فإنها تقارب بين صورة الأبناء ونموذج الأب، بحيث يظهر مفهوم القدوة على أنه مثال حي لجيل قادم، يعرف وجهته التي يستمدها أصلاً من إيمانه بفكر أبيه، ودور أبيه في الأسرة و المجتمع، في حين أن الذكاء يخون المرأة عندما تعتقد أنها يمكن لها أن تلعب دوراً مزدوجاً في تربية أبنائها، يقوم على تعزيز ولائهم لها والتشكيك في كل ما يفعله والدهم، فتصغر في نفوسهم صورة القدوة فيه، ليبحثوا عنها خارج منظومة الأسرة، فيقعون في الأغلب ضحية رفاق السوء، أو النماذج الوهمية للقدوة، كأن يتخذ أحد الأبناء قدوته من وسائل الإعلام، أو من ممثل

أو ممثلة معينة، دون أن يعي أنهم يمارسون دوراً تشبيهياً لا حقيقيا، فتحدث الصدمة بتغير هذا الدور تماماً، كما حدث لي من صدمة مشابهة عندما سألني أحد أبنائي عن ممثل لعب دور أحد علماء المسلمين، ثم أذيع له دور نصف عارٍ على شاطىء البحر مع نصف عارية فسألني "أبي: أليس هذا هو فضيلة...؟!" فبكمت عن الإجابة، لإني تاهت بي الحقائق، كما سبق وأن تاهت عند الزوجة التي تفتح المجال لدخول القدوة الوهمية إلى نفوس أبنائها، عندما تقتل فيهم قدوة الأب!

الدور الوسيط للمرأة هو أخطر الأدوار إطلاقاً، فهي مرآة الزوج عند الأبناء، إن وجدوها مطيعة كانوا مطيعين، وإن وجدوها تتعامل معه بأسلوب فظ اعتقدوا أن هذا قدر والدهم عندهم، وهنا على الزوجة أن تتحمل كامل المسؤولية دون أن

يشاركها بها أحد في حال أن قرر هذا الزوج بناء أسرة جديدة يكون هو فيها القدوة.

أما المحور الخامس والأخير والذي يرتبط في دورها الفاعل في منظومة الأسرة بشكل عام، فهو يقوم على الجمع بين عناصر المحاور السابقة، وعلى المرأة أن تتخذ إِحدى نموذجين: إِما نموذج الدور الفاعل في تربية الأبناء على القدوة المستمدة من رب الأسرة، وتعزيز دورها كعضد مساند لزوجها في العسر واليسر، وفي مواقف الألم والفرح، وأن تكون معه على ذات المنصة متوجة بانتصاراته، أو مهزومة بشرف هزيمته، وأن تقدم كل ما لديها كي يكون هذا الزوج مصدر أسرته هو مصدر قوته ويقينه بالنجاح في كل وقت، وهنا يكون الزوج داعماً للأسرة، وتكون الزوجة أساس النجاح وصانعة المستقبل، منها الرضا ولها كل التقدير.

أو أن تتخذ المرأة النموذج الثاني: الدور السلبي الذي يقوم على المنافسة لا الشراكة في تربية الأبناء، وتحديد وجهتهم المستقبلية، والذي يقوم على كسب رضا الأبناء على حساب انتقاص دور الزوج، وترويضهم لرفض سياسته الأسرية، فتكون بذلك عنصراً فاعلاً في هدم مؤسسة الأسرة وتشتيتها في قطاعات فردية، أي أنها تلعب دور الاستعمار بشعاره (فرّق تسد) ألا أنها يجب أن تدرك ان الاستعمار الأسري إذا ما مارسته الزوجة فإن شعاره لن يكون إلا فرّق تمت!!

سطور.. لا أتحمل مسؤوليتها!!

لا أنكر أن المرأة شغلت حيزا كبيرا من تفكيري في محاولة لفهمها، ورحت أقرأ الكثير عنها، أملا في أن أجد كلمة السر التي تصل بها حد الرضا، وقرأت تشريحا فلسفيا لفهم طبيعة المرأة، ورحت أحاول أن أسقطه على تجربتي وتجربتنا العربية بشكل عام، فقمت بالمحاولات التالية من واقع فهم من يتعدون على فكرنا تجاه المرأة وخصوصيتها النبيلة، وهي المحاولات التي لا أنصح أحد بالقيام بها.. فالمجرَب لا يُجرب!

حاولت أن أفهم حالة العداء التي تعلنها بالذات زوجة المفكر على هذا الزوج حتى قرأت أن "المرأة الجميلة عدوة الرجل المفكر" فأيقنت انها بذلك تحاول زيادة جمالها بزيادة عدائها!

حاولت أن أفهم سبب اتخاذ الزوجة دور المبادر في المشكلات الأسرية دائما، دون أن تمنح الزوج ولو لمرة واحدة هذا الحق، حتى قرأت أن "الرجل

يفكر ثم يقرر، فيما المرأة تقرر ثم تفكر" فبطل لدي العجب!!

حاولت أن أفهم سبب تكرر نفس المشكلة أكثر من مرة في العلاقة الزوجية، وكنت أتساءل هل نحن على هذه الدرجة من الغباء حتى نقع في الخلاف أو الخطأ ذاته عشرات المرات؟! حتى قرأت أن "الرجل إذا أخطأ فإنه يندم، في حين أن المرأة إذا أخطأت فإنها تقول آسفة دون أن تندم" ومن لا يندم على الخطأ لا تقبل توبته ويعود إليه!

حاولت أن أفهم السر الكامن في الاستعداد الدائم لدى الزوجة للتعبير عن تذمرها، حتى قرأت أن "المرأة تكتم الحب أربعين عاما ولا تكتم البغض يوماً واحدا" و هناك من هنّ أسرع من ذلك!!

وفي محاولة أخرى جاهدت نفسي لمعرفة سر اتهام الزوجة للزوج دائما بأنه تغير نحوها حتى

قرأت أن "المرأة تنفق عشر سنوات لتغيير عادات الرجل، ثم تشكو من أنه رجل آخر غير الذي تزوجته"!

وفي محاولتي الأخيرة حاولت أن أفهم سبب توتر علاقة الأبناء بآبائهم في ظل وجود الزوجة غير الواعية من خلال تصرفاتها مع زوجها حتى قرأت أن "بعض الزوجات يضيعن عشرين عاماً لتحول ابنها إلى رجل، ، ، في حين أن زوجات أخريات تجعل ابنها أحمقا في عشرين دقيقة"!

والسر الذي أكشفه في هذه السطور أنني قمت بهذه المحاولات دون أن يدري أحد، ودون أن أناقش أو حتى أحاول النقاش فيه مع أحد، لأني قرأت ضمن ذات الثقافة أن "الرجل قبل الزواج يظل يفكر طوال الليل في كلمة قالتها المرأة، في حين أنه بعد الزواج ينام قبل أن تفتح زوجته فمها"!!

علينا أن نميز ممتلكاتنا الأصيلة نحو المرأة ونقدر قيمتها، ونعي الفارق الأخلاقي بيننا وبين من يريدون استيراد حقوق المرأة المعلبة بطريقة غير آمنة، وقد تكون منتهية الصلاحية، فاحترام المرأة عندهم حق مؤقت، سينتهي بانتهاء التشكيل السياسي الذي فرضه، ومجتمعاتهم هي من يعبر عن ذلك، فيتبادلون الطرفة التي أصبحت جزءا من ثقافتهم بل في صميم ثقافتهم والتي تقول: "إذا رأيت رجل يفتح باب السيارة لزوجته فاعلم أن أحدهما جديد، السيارة أو الزوجة!"

البروفيسور محمد بن حمود الطريقي

- شغل العديد من المناصب الأكاديمية والعلمية في جامعة الملك سعود ومستشفى الملك خالد الجامعي وبرنامج الهندسة التأهيلية بكلية الطب بجامعة نورث ويسترن بالولايات المتحدة الأمريكية ورأس فريق العمل لمدينة سلطان بن عبدالعزيز للخدمات الإنسانية.
- يرأس حالياً «تأهيل بلا حدود».
- أسس وأدار المركز المشترك المعني بالتوعية والرعاية والتأهيل والوقاية، وأسس ويدير «العالم للصحافة» التي تعتبر أول مشروع إعلامي إنساني متخصص في الشرق الأوسط، وأصدر موسوعة تثقيفية تعريفية متخصصة في مجال التنمية والديموقراطية وحقوق الإنسان في أول تجربة عربية من هذا النوع.
- أنجز براءات اختراع عالمية حازت جوائز دولية في المحافل العالمية المتخصصة، وساهم في نشر أكثر من (١٠٠) بحث في كتب ومجلات علمية ومؤتمرات عالمية، وما يربو على (٥٠) مرجعاً وكتاباً علمياً.
- شارك في الفعاليات الإنسانية العلمية والفكرية في معظم الدول العربية والإسلامية ودول العالم الأخرى.
- حاصل على وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الأولى وجائزة التميز من جامعة الملك سعود تقديراً لإنجازاته العلمية وعدد من دروع التقدير والتميز من عدة جامعات وهيئات عربية وعالمية.

www.profalturaiki.com

مؤسسة العالم للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع
ص.ب : ٩١٤٠٩ الرياض ١١٦٣٣ المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٧٨٠٣١٢ (١) ٩٦٦+ فاكس : ٤٧٨٠٣٧٤ (١) ٩٦٦+
E. mail : alturaiki@hotmail.com
www.alaalem.org